

رحيل مؤرخٍ وعالمٍ قبطي

نستودع اليوم بين يدي الخالق القدير نفس المؤرخ القبطي سمير فوزي جرجس الذي مات موت الأبرار وكانت آخرته كأخرتهم.... نهنته بسلامة الوصول إلى بيته الأبدى، مع كل بني الملكوت حيث الوطن السماوي الأفضل والبهاء الذي لا يُنطق به ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم عنه. انطلق بعد أن جاهد وحفظ الدرس وقدم تراث الكنيسة كفعل حي في التاريخ... نقله للأجيال الآتية حياة في التاريخ، مؤكداً على أن التراث لا ينطلق من التطلع إلى الوراء فقط، إنما يستمر ويمتد من الجذور إلى المستقبل.... فالماضي عنده مدرسة بابها مفتوح إلى الأمام، لذلك درس التاريخ واكتشفه ووعي عمقه، ووثق حياة الكثير من الأولين في وحدة فكرية، تساهم في جعل الكنيسة حاضرة في التاريخ مُطلّة على المستقبل عملاً وفعالاً.... كان صبره ودأبه وغيرته هي المعجن الذي يعجن فيه قمح التاريخ وحنطته ليُخرجها رغيماً وخبزاً للحياة. عانى المعرفة معاناة وعاش تواضع العلماء فقدم ولأول مرة السير الموثقة (للقديسة فيرينا) و(الكتيبة الطبية) و(القديس موريس) و(القديس فيكتور) و(الرهبان الأقباط السبعة بأيرلندا)، فكان خير خلف لخير سلف. ولا شك أن تلك الأبحاث التاريخية الشاقة استنزفت منه الكثير لكي تخرج للنور وتحمل رسالة التنوير والشهادة، كذلك لا ننسى إسهاماته الحضارية التي تتعلق بدور الأقباط الكرازي وإصداره الموسوعة القبطية ذات السبعة أجزاء. والكثير من الأوراق البحثية المحفوظة في المكتبات العالمية، والتي حرص أن يقدم من خلالها فلسفة التاريخ القبطي، موضحاً معاني أحداثه التاريخية ومدلولاتها الإلهية - (ليس عودة إلى الماضي بل حياة الحاضر في ضوء الماضي) - فالمسيح هو معنى التاريخ ومحوره، وهو البداية والنهاية، الألفا والأوميغا.

تمتع راحلنا العزيز بالسجّية المسيحية الحية، فجمع بين الأمانة والإبداع الصائب، الأمين لوديعة الإيمان.... لذا جاءت أبحاثه تتسم بروح مزدوجة: الأمانة للتاريخ الماضي، والإبداع في الحاضر، بمقدرة جعلته يصنع التاريخ صنفاً جديداً، خاصة لأنه كان ضليعاً في اللغات، أميناً للتقليد ومبدعاً فيه.

كان يبذل قصارى جهده لتسليم التقليد للجيل اللاحق تسليماً يحمل بصمات الحاضر المتأثر بالماضي والمتجه نحو المستقبل.... فكان واعياً غيوراً باحثاً في مشاهدة العناية الإلهية ويد الله في التاريخ، لذلك قدم دراسات تاريخية وحدت ما جزأه الزمان وما ينساه ويتجاهله التاريخ وما يؤدي إلى موت الحضارة.

يحق علينا أن نشهد لراحلنا بأنه أعش ما لأبد أن نعيشه ونحياه، وأوصلنا بترائنا الأصيل، وأعاد ذاكرتنا التي تربطنا بالأباء الأقباط المهاجرين في القرون الأولى، والذين كانوا رسل سلام وبناء ومحبة وكل ما للمسيحي، لا شك أن هؤلاء القديسين يستقبلونه اليوم في العرس الأبدى وهو في معية هؤلاء الشهداء الذين سجل سير شهداتهم الحمراء، وقد قدم هو شهادته البيضاء بالتعفف والتضحية وأعمال المحبة والوداعة، منصتاً للهمسات الإلهية وقد نال رضى ربنا القدوس. كذلك لن ننسى له كنيسته أنه حافظ على ذاكرتها حتى يكون المستقبل له أصالة الماضي، نتلمس فيه وعود الله وكم صنع بنا ورحمنا. فالحاضر هو ثمر الماضي وأساس المستقبل.

تحية للراحل عدلي أبدير الذي عرفني بالمؤرخ الكبير، وكلاهما من فخر القبط في هذا الجيل، نباحاً لهما، فذكرهما لن يغيب، ولنكثر لنا النعمة والتعزية، وليعوض الله الأقباط فيهما خيراً، والله المجد على كل شيء.

القمص أنثاسيوس فهمي جورج

٢٩ أكتوبر ٢٠١٠